تاريخ العلوم
المجلة العربية المتخصصة في تاريخ العلوم والدراسات والأبحاث الإيبستمولوجية

إسهامات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة تاريخ الجزائر الإقتصادي خلال العهد العثماني Contributions Of The Historian Nasser Eddin Saidouni In Writing Algeria's Economic History During The Ottoman Period

سهيلة أحمد سرير: souhila ahmed serir
المشرف : د. محمد درّاج mohammed derradj
البريد الإلكتروني souhilahistoire@gmail.com:

تاريخ الاستلام : 2018-06-01 تاريخ القبول : 2019-11-20

ملخص:

يعدّ المؤرخ ناصر الدين سعيدوني من ضمن المؤرخين الذين كانت لهم إسهامات جليلة وقيمّة فيما يخص كتابة تاريخ الجزائر العثماني .ليس هذا وحسب بل كان له دور كبير في كتابة كل ما تعلّق بالحياة الاقصادية للجزائر خلال العهد العثماني وذلك من خلال تأليفه لمجموعة من الكتب خصت الموضوع .فكانت مساهمة مهمّة عرّفت بواقع الإقصاد الجزائري وفكّت الغموض عنه ،ولم يتأتى ذلك إلاّ عن طريق انتهاج سعيدوني لمنهج معين وتقديمه لمعلومات موثوقة ومصدرية كان لها دور في إثراء المكتبة التاريخية الجزائرية .وهذا ما سوف نتعرّف عليه من خلال هذه الدراسة

الكلمات المفتاحية: ناصر الدين سعيدوني،التاريخ الإقتصادي ،العهد العثماني

Summary:

Historian Nasser Eddin Saidouni Is One Of The Historians Who Had Great And Valuable Contributions In Writing The History Of Ottoman Algeria.Not Only That.He Had A Great Role In Writing Everything Related To The Econo;Ic Lire Of Algeria During The Ottoman Period.It Was An Important Contribution Known To The Algerian Economy. And The Mystery Of It Disappeared.It Was Only Through The Adoption Of A Certain Method And The Provision Of Reliable And The Original Information That Had A Role In Enriching The Algerian Historical Library.This Is What We Will Learn Fro; This Study.

Key Words : Nasser Eddin Saidouni .Economic History . Ottoman Period.

مقدمة :

تعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر من ضمن الفترات التي لاتزال في حاجة إلى البحث والتعمّق أكثر في مختلف مجالاتها.خاصة ما تعلّق منها بالجانب الإقتصادي، الذي عرف عزوفا كبيرا من طرف العديد من المؤرخين والباحثين بعد أن صعب عليهم البحث فيه نظرا لما يتطلبه من جهود فكرية ودقّة في تقديم المعلومات.إلاّ أنّه ورغم ذلك فقد برز بعض المؤرخين[1] على رأسهم المؤرخ ناصر الدين سعيدوني الذي كان له دور كبير في إثراء المكتبة التاريخية الجزائرية من خلال مساهمته بمجموعة من المؤلفات.والتي ركز في أغلبها على دراسة الإقتصاد الجزائري خلال الحقبة العثمانية.ولدراسة هذا الموضوع توجّب علينا الإجابة على جميع التساؤلات التالية:

فمن يكون المؤرخ ناصر الدين سعيدوني؟ وكيف كان مساره العلمي الذي انعكس على كتاباته؟ ماهو المنهج الذي اتبعه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني في كتابة تاريخ الجزائر العثماني ؟ وإلى أيّ مدى ساهمت مؤلفاته في تغطية الجوانب المتعلقة بالحياة الإقتصادية للجزائر خلال العهد العثماني؟

أولا:المؤرخ ناصر الدين سعيدوني :السيرة الذاتية والمسيرة العلمية

1 . السيرة الذاتية:

هو ناصر الدين سعيدوني من مواليد 10 جويلية عام 1940م بالمنطقة الريفية المعروفة ببئر الشهداء الواقعة بولاية أم البواقي.ولد في ظروف كانت الجزائر فيها تحت سيطرة الإستعمار الفرنسي،الذي كان هدفه محاولة القضاء على المقومات الشخصية والهوية الوطنية للشعب الجزائري.الأمر الذي ساهم في تكوين شخصيته وذلك من خلال كفاحه عن بلده بقلمه وإخلاصه[2].

ينتمي سعيدوني إلى أسرة دين وعلم ترجع أصولها إلى منطقة جبلية تعتبر الجناح الغربي لجبال

الأوراس.كانت تمثّل نموذجا للأسر المرابطية الريفية الكبرى. نظرا لمساهمتها في تلقين أسس اللغة العربية والدين الإسلامي في الأوساط الريفية.فكان لها بذلك دور في الحفاظ على روح الشعب الجزائري ومقوماته.فهو . سعيدوني . بذلك ينتمي إلى جيل من أبناء الريف الجزائري.فشبّ في ظروف صعبة ومتأزمة شهدت فيها الجزائر عدّة تقلبات وتحوّلات اقتصادية واجتماعية غيّرت مجرى حياة وموضع الأسر الجزائرية التي اضطرت إلى ترك مواطنها في الريف والإنتقال إلى المدن بحثا عن وسائل العيش وسبل الرزق.وهو ما سوف ينعكس على كتابات ناصر الدين سعيدوني واهتماماته التي كانت في أغلبها تهتمّ بالحياة الإقتصادية للجزائر خلال هذه الحقبة المدروسة[3].

وبناء على ماسبق ذكره يمكن القول أنّه كان للظرف السياسي الحرج الذي كانت تعيشه الجزائر.والجو الأسري الذي نشأ في كنفه المؤرخ ناصر الدين سعيدوني دور مهمّ وأثر بالغ في تبلور شخصيته في وقت لاحق وانعكاس واضح على كتاباته التي جاءت لمعالجة ودراسة مختلف الأوضاع بالجزائر بتعدد مجالاتها خلال العهد العثماني بما فيها المجال الإقتصادي. وذلك ما يتمّ استنتاجه من خلال مساره العلمي وإنتاجه الفكري.

2 . المسيرة العلمية :

إنّ الدّارس لمسار المؤرخ ناصر الدين سعيدوني العلمي يجد بأنّه قد زاول تعلّمه في ظروف صعبة مثّلت بالنسبة إليه التحدّي الذي سوف يقوّي شخصيته ويحسن تكوينه.فلم تمنعه المثبطات من مواصلة تعلّمه وتحقيق طموحاته.بل تميّزه بطابع الإجتهاد والمثابرة جعله يحرص في ظل تلك الأوضاع على مواصلة مشواره العلمي بكل عزم حتى يحقق ما كان يصبو إليه وهو أن يجعل قلمه سيّالا خدمة للجزائر وإثراء للمكتبة التاريخية الجزائرية[4].

أمّا عن مراحل تعلّمه؛ فإنّه درس مرحلته الإبتدائية في المنظومة التربوية التي أوجدتها جمعية العلماء المسلمين والمعروفة بالتعليم الحرّ.دون أن يلتحق بالمدارس الفرنسية التي كانت مقتصرة على فئات محدّدة من الأوروبيين وبعض الجزائريين.ورغم ذلك فإنّه نجح في مشواره وانتقل إلى المرحلة الثانوية.بعد أن ذهب إلى قسنطينة أين باشر دراسته فيها بمعهد عبد الحميد بن باديس والكليّة الكتانية.لينتقل بعدها إلى مرحلة أخرى وهي المرحلة العملية التي طبّق فيها أولى تجاربه في التدريس في مدنتي عنابة ثم بجاية.إلاّ أنّ بداية تجربته الفعلية في التدريس بدأت عندما قدم إلى مدينة الجزائر في فترة تزامنت مع حصول الجزائر على استقلالها.فكانت تلك المتغيرات بمثابة الأرض الخصبة التي أنتجت ثروة علمية كان صاحبها المؤرخ ناصر الدين سعيدوني[5].

فبعد أن توجّه إلى مدينة الجزائر فإنّه أكمل مساره العلمي، ومن ثمّ توجّه إلى مرحلة العمل والتأليف إذ أنّه تحصل على شهادات عليا في التاريخ والجغرافيا من معهد الدراسات العربية العليا بجامعة الجزائرعام 1966م،ثم بعدها تحصل على شهادة الليسانس في الجغرافيا في ذات الجامعة عام 1971م،ثم نال شهادة الدكتوراه الطور الثالث في التاريخ الحديث والمعاصرعام 1974م في نفس الجامعة.تحصل بعدها على دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة إكس آن بروفانس بفرنسا عام 1988م[6].

كان المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أستاذا في التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر.ليس هذا وحسب وإنّما أطّر العديد من الرسائل وتخرّج على يده العديد من النخب.أفنى حياته في البحث والتأليف وكانت له عدّة مشاركات في الكثير من المؤتمرات التاريخية.نشر العديد من المقالات والكتب كانت إضافة علمية قيّمة ساهمت في إثراء المكتبة التاريخية والجامعة الجزائرية.

بلغت مؤلفات ناصر الدين سعيدوني حوالي 32 كتابا تناول فيها مختلف المجالات صدرت بعضها باللغة العربية وبعضها الآخرباللغة الفرنسية[7] نذكر أهمّها:

. النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792. 1830م)

. ورقات جزائرية

. أساسيات منهجية التاريخ

. دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائرالحديث والمعاصر في جزئين
. دراسات في الملكية العقارية أثناء العهد العثماني
. عصر الأمير عبد القادرالجزائري
. الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان أواخر العهد العثماني1971. 1830م)
. الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر. تونس . طرابلس الغرب).
. الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني. وغيرها كثير من المؤلفات.

ثانيا : منهج وطابع الكتابة التاريخية عند المؤرخ ناصر الدين سعيدوني:

إنّ المتتبع للمنهج التاريخي لدى المؤرخ ناصر الدين سعيدوني يكتشف بأنّه قد تميّز بأسلوب تاريخي منضبط وبنظرة علمية وتحليلية تقوم على النقد.ممّا جعله من المؤرخين الموهوبين في الكتابة التاريخية الذين أكّدوا مكانة التاريخ وقيمته،وأبرزوا دور العلوم المساعدة [8] . حسب نظرة سعيدوني له من خلال اللجوء إليها خاصة أثناء الدراسات الخاصة بالجانب الإقتصادي.فهنا يجد المؤرخ نفسه مجبرا على استعمال وسائل الإيضاح لتبسيط أفكاره ،والتي لا يجدها في التاريخ إلاّ إذا استعان بعلوم مساعدة له كعلم الجغرافيا من خلال إدراج خرائط طبيعية.وعلم الإحصاء بهدف إدراج الجداول والمنحنيات البيانية وغيرها من العلوم الأخرى التي قد تساعده في كتاباته[9].

أيضا كان يطمح ويسعى المؤرخ سعيدوني دائما إلى تقديم مؤلفات تتميّز بالموضوعية،إذ أنّه كان يؤكّد في تعامله العلمي على ضرورة الإلتزام بقواعد المنهجية في أيّ عمل تاريخي.وذلك من أجل الرّقي بالكتابة التاريخية وجعلها أقرب إلى الحقيقة.وهو ما عبّر عنه في قوله:" **أنّ المنهجية هي الوسيلة العملية التي تمكّن دارس التاريخ من اكتساب المهارة في التعامل مع الحدث التاريخي وتجعله لا يقنع بالسرد...بل يطمح إلى الجمع بين التطوّر الأدبي والنظرة الموضوعية والتناول العلمي في سعيه لتكوين صورة معبّرة عن الماضي**"[10]. من خلال هذا القول نستنتج بأنّ سعيدوني لم يكن هدفه من دراسة التاريخ هو سر للأحداث والوقائع،بل أنّ نظرته إليه جعلته يكون أسمى من ذلك باعتباره مجال للبحث والإستكشاف والتنظير.ليس هذا وحسب إنّما كان يرى أنّه لا بدّ من تجاوز تعظيم الأحداث بعضها وتقزيم بعضها الآخر نفس الشيء بالنسبة للشخصيات، والإنتقال إلى مرحلة النقد والتحليل والصياغة الذّكيّة والموضوعية الثاقبة. والتي لا تنطبق على الماضي فقط بل تسلط الضوء على الحاضر والمستقبل.

بالإضافة إلى ذلك؛أنّه كان يرى في المؤرخ ضرورة اتصافه بعدّة مواصفات تؤهله لدراسة الوقائع التاريخية في أي وقت وفي أي مكان،كأن تتوفر فيه مؤهلات شخصية وظروف موضوعية تمكّه من تقييم الحقيقة التاريخية النسبية .ومن أهمّ هذه المؤهلات نذكر الإستعداد النفسي لإنجاز العمل مع ضرورة التحلّي بالصبر والمثابرة حتى يتمكّن من التغلّب على الصعوبات والعقبات التي قد تعترضه أثناء بحثه.ضف إلى ذلك اتصافه بالأمانة والنزاهة والإخلاص وعد التحيّز مع التجرد من الميول الشخصية[11].

وأن يتوخى في كل ذلك الحقيقة التاريخية في إطار المعلومات المتحصل عليها وهو ما ألمّه في قوله :" **إنّ المؤرخ الواسع الأفق والعارف بخصوصيات البحث التاريخي هو الذي يجعل القيم الحضارية منطلقا له.والبيئة الجغرافية إطارا لبحثه والمنظور الفلسفي بعد لتصوراته.والآثار المادية والوثائق الأصلية مرجعا في بحثه.والإهتمامات الإجتماعية والميول النفسية وواقع الحياة اليومية انشغالا رئيسيا في استقصائه الأسباب ورصده الوقائع وتقييمه للنتائج.وبذلك فقط يمكن أن يصبح التاريخ صورة حيّة للماضي في مختلف مظاهره.ويكزن المؤرخ نموذجا للمثقف الواعي بماضيه والمتفهّم لواقعه والمنطلق لمستقبله والمجدد لتراث مجتمعه**"[12].

وهذا ما نلتمسه عند سعيدوني في مختلف مؤلفاته خاصة المتعلقة بالفترة العثمانية.والتي نالت اهتماما كبيرا من طرفه إلى درجة أنّ معظم مؤلفاته كانت

تقتصر على ذات الفترة من تاريخ الجزائر والتي تناول فيها عديد الجوانب.وعليه فإنّ التزام هذا الأخير في تطبيق القواعد المنهجية وضوابط العمل الأكاديمي في مجال التاريخ.جعله يتصدر مكانة علمية قيّمة أهلته أن يكون كرائد من رواد المدرسة التاريخية الجزائرية.وأحد مكوني الجيل الجديد من المؤرخين.فمساره الحافل بالمحطات العلمية جعله يبرز كأحد رواد منهجية البحث .بل أنّه يعدّ أهم رواد الدراسات التاريخية العثمانية بمختلف مجالاتها،بما فيها الجوانب الإقتصادية التي أعطى لها اهتماما كبيرا ضمن أبحاثه.بل أنّ أغلب الإسهامات كانت تخص المجال الإقتصادي.

ثالثا: مؤلفات المؤرخ ناصر الدين سعيدني وإسهاماته في كتابة تاريخ الجزائر الإقتصادي خلال العهد العثماني

لا شكّ أنّ المتتبع للمسار العلمي والإنتاج الفكري للدكتور ناصر الدين سعيدني سوف يعرف بأنّ قلمه لم يتوقّف عن الكتابة.الأمر الذي جعله يصدر لنا عددا يكاد لا يحصى من الكتب بين تأليف وترجمة وتحقيق. وهنا نذكر على وجه الخصوص مساهمته في كتابة الحياة الإقتصادية للجزائر خلال الحقبة العثمانية.وهو المدخل الذي ولج عن طريقه إلى مجال البحث التاريخي،بل وشيّد على أساسها تخصصه الأكاديمي[13].سببه في ذلك حسب ما ذكره سعيدوني أنّ التعرّف على أحداث تاريخ الجزائر الحديث مرتبط برسم صورة واضحة للحياة الإقتصادية للجزائر أثناء العهد العثماني.ذلك أنّ الجانب الإقتصادي قد كانت له آثار بارزة وانعكاسات مباشرة على بقية الجوانب الأخرى من أحداث سياسية ونظم إدارية وحالة اجتماعية.حيث لا يمكن التعرّض لهذه الجوانب كلّها إلاّ بعد معرفة الأوضاع الإقتصادية.ليس هذا وحسب بل أكّد سعيدوني بأنّ الواقع الإقتصادي كانت توجهه العلاقات الخارجية من خلال نشاط الجهاد البحري والهدايا الإلزامية وغيرها[14].

كما أنّ الوضع الإقتصادي ظلّ يتحكّم في الصراع والتنافس بين فرق الأوجاق[15] وطائفة رياس البحر.فضلا على أنّ الحياة الإقتصادية كانت تبرز لنا الدوافع والأهداف الحقيقية التي كانت تقوم عليها الثورات الداخية. هذا عن الدافع الذي جعل ناصر الدين سعيدوني يخصص مجالا واسعا من أبحاثه تخص الجاني الإقتصادي.بل كانت منطلقا لأبحاثه[16].

أمّا عن أهمّ مؤلفاته في هذا الجانب فنذكر:

. **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792 . 1830)** : هوعبارة عن أطروحة دكتوراه من الطور الثالث.طبعت إلى كتاب في ثلاث طبعات له.الطبعة الأولى كانت سنة 1979م والطبعة الثانية كانت سنة 1985م أمّاعن الطبعة الثالثة فقد كانت سنة 2012م[17].

لقد كان المؤرخ ناصر الدين سعيدوني يطمح من وراء إعداد هذا الكتاب وفي طبعات متعدّدة إلى تقديم صورة واقعية ودراسة موضوعية ومقارنة معمّقة للوضع المالي الذي كانت تعيشه الجزائر أواخر العهد العثماني وهي الفترة الحاسمة من تاريخها. وذلك عن طريق انتهاج أسلوب مبسط واتباع نظرة نقدية وعرض شامل للوضع المالي للجزائر العثمانية الذي كان سائدا في تلك الفترة استنادا إلى معلومات تمّ استخراجها من مصادرها الأصلية[18].

أمّا عن محتوى هذا الكتاب وأهمّ الجوانب التي تطرق لها فيما يخص الجانب المالي.فإنّنا نجده قد قسّم كتابه إلى مدخل وستة فصول.فالمدخل خصصه لدراسة الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية باعتبارها العامل المحرّك للنظام المالي.ثم انتقل بعدها إلى الفصل الأول والذي خصصه للحديث عن أهمّ العوامل التي أثّرت في النظام المالي.لينتقل بعدها إلى تناول كل ما يتعلّق بمصادر الدخل من مداخل نقدية وأخرى عينية تتعلّق بالقطاع الريفي خاصة مدخول ضرائب الملكيات بمختلف أنواعها أو رسوم مالية نتجت عن النشاط الإقتصادي في المدن المتمثلة في المبالغ التي اعتاد تقديمها السكان وكذا العوائد الفصلية وعائدات بيت المال وغيرها[19].إضافة إلى إعطائه صورة عامة عن وجوه الإنفاق في الفصل الثال ثوالتي شملت مختلف النفقات المالية المباشرة نذكر على سبيل المثال رواتب الموظفين والعمال وغيرة

المباشرةكنفقات بيت المال والهدايا الموجهة للحرمين الشريفين واستانبول.ضف إلى ذلك النفقات التي تتطلبها المرافق العامة وغيرها[20].

زيادة على ذلك؛فإنّه تناول دور الخزينة من خلال دراسة وضعها ثم دورها .أمّا الجانب الآخر فقد تناول فيه كل ما يتعلّق بالعملة من خلال ذكر مراحلها وأنواعها ليختم دراسته بنقد واستنتاج لتلك السياسة المالية التي كان يتبعها الحكام الأتراك[21].

. الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر(دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791 . 1830م):

أصل هذا الكتاب عبارة عن أطروحة دكتوراه دولة تحصل عليها ناصر الدين سعيدوني من جامعة فرنسا كتبت باللغة الفرنسية ناقشها عام 1988م بعدها صدرت عام كتابا باللغة الفرنسية عام 2001م.ثم ترجم الكتاب إلى اللغة العربية في طبعة خاصة عام 2013م[22].

يعدّ هذا الكتاب مساهمة أخرى لسعيدوني تضاف إلى سلسلة المؤلفات المتعلقة بالتاريخ الإقتصادي للجزائر.والذي خصّصه للحديث عن الجانب الإقتصادي والإجتماعي للإقليم المركزي للجزائر في العهد العثماني والمعروف بدار السلطان .حيث نجد أنّه قد قسّمه إلى ثلاث أقسام الأول خصصه لدراسة الوسط الطبيعي والوضع البشري هدف في ذلك تبيين العلاقة بين سكان الريف وبيئتهم وأيضا علاقته نع المدن .ليتناول في القسم الثاني جزءا مهمّا من الأنشطة الإقتصادية لهذا الإقليم،والمتمثلة في العوامل المثرة في تلك الأنشطة وذلك من خلال الوضع السياسي والإداري والتظيم المالي والضريبي وأيضا الأرض وكيفية استغلالها بمختلف أنواعها.ثم انتقل للحديث عن طرق الإنتاج وتقنيات الفلاحة وطبيعة التبادل المحلّي وأيضا تناول الصناعات والأسعار والتجارة.ليختم كتابه بالحديث عن الحياة الإجماعية الخاصة بأرياف هذا الإقليم وكل ما يتعلّق بها[23].

. الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني :

أصل هذا الكتاب هو عبارة دراسات قدمت بعضها في سمينارات تاريخية وأخرى في مؤتمرات دولية كتبت باللغة الفرنسية(Propriété et fiscalité en Algérie à l'époque ottomane).الأمر الذي جعل المؤرخ سعيدوني يسعى إلى ترجمتها وإصدارها باللغة العربية حتى يسهل على القارئ فهمها.ولقد سبقت هذه الطبعة الثالثة طبعتين الأولى بعنوان " دراسات في الملكية العقارية" سنة 1986م وطبعة ثانية كانت سنة 2001 [24].

لقد عالج سعيدوني في هذا الكتاب عدّة جوانب ومواضيع كانت بدايتها بالحديث عن أوضاع الأراضي بشكل عام في بلاد المغرب العربي خلال العصور الحديثة.لينتقل بعدها إلى تخصيص الدراسة عن الجزائر من خلال حديثه عن ملكية الأرض وأحوال الزراعة في أواخر العهد العثماني وطبيعة الإنتاج الزراعي[25].ليعرج بعدها إلى بلاد الشام ويتحدث عن ملكية الأرض فيها بهدف مقارنتها بالجزائر.ثم تطرق بعدها إلى الحديث عن واقع الضريبة في الريف والمدينة قبل الإحتلال الفرنسي،ثم تلتها الدراسة الخاصة بالجباية وكلّ ما يتعلّق بها في كل من دار السلطان وإقليم التيطري[26].ليختم حديثه بعدها عن ذلك النظام الضريبي الذي وجد في دولة الأمير عبد القادر[27].بالإضافة إلى تحقيقه لكتاب قانون أسواق مدينة الجزائر.

هذا عن أهمّ الكتب التي خصّصها ناصر الدين سعيدوني للحديث فيها عن الحياة الإقتصادية في الجزائر خلال الحقبة العثمانية.زيادة على ذلك فقد كانت له إصدارات أخرى من الكتب ذات الصلة بالموضوع شمل بعضها الحديث عن جوانب أخرى كالحياة الإجتماعية والثقافية و شملت مختلف أقطار المغرب العربي خلال الفترة العثمانية وهوكتاب:

. <u>الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، من القرن 16 إلى 19 م:</u>

لقد كان يطمح المؤرخ ناصر الدين سعيدوني من خلال هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع وطبيعة الحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية في كل من (الجزائر . تونس . طرابلس الغرب) خلال الفترة العثمانية من القرن 16 إلى غاية القرن 19.وهي دراسة تجاوز فيها دراسة إقليم الجزائر إلى موضوع أشمل تعلق بأقطار

المغرب العربي .أمّا عن أهمّ الموضوعات التي عالجها في ذات الدراسة .فإنّنا نجده قد قسّمها إلى ثلاث محاور .الأول خصصه للحديث عن مختلف الأنشطة الإقتصادية وكل ما يتعلّق بها في الجزائر وتونس وطرابلس الغرب .ثم انتقل بعدها للحديث عن طبيعة الحياة الإجتماعية وأهمّ العوامل المتحكّمة فيها.ليكمل دراسته بالحديث عن الحياة الثقافية من مساهمة علمية وأدبية[28].

بالإضاقة إلى تطرق سعيدوني لبعض الموضوعات التي لها صلة بالحياة الإقصادية في كتب عامة شملت مختلف المجالات نذكر منها :

. ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني):

هو عبارة عن كتاب تناول فيه سعيدوني العديد من القضايا التي تتعلق بالفترة العثمانية من تاريخ الجزائر من أمور تتعلّق بالمنهجية وأخرى بطبيعة الكتابات وبعضها الآخر يتحدث عن الجانب السياسي والإداري والعسكري ليترك القسم الثالث للتطرّق إلى مختلف الجوانب الإجتماعية بما فيها الجوانب الخاصة بالحياة الإقتصادية للجزائر[29].

. الجزائرفي التاريخ (العهد العثماني):

لقد وُضع هذا الكتاب خصّيصا لدراسة الوضع الإقتصادي والإجتماعي للجزائر خلال العهد العثماني.والذي كان بمثابة عمل مشترك ساهم به كل من ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي.حيث كان لهما دور إيجابي في إثراء هذا الموضوع من خلال جميع تلك المعلومات التي تمّ تقديمها.لقد تحدّث هذا الكتاب عن العوامل المؤثرة في كل من الحياة الإقتصادية والإجتماعية .ثم تناول الحديث عن نوعية النشاط الإقتصادي وكذا البنية الإجتماعية في كل من الريف والمدينة .حيث تمّ طرح الموضح بشكل مفصّل يفيد بغرض كل باحث في هذا المجال[30] .

هذه عبارة عن حوصلة شاملة لأهمّ الدراسات التي أنجزها المؤرخ ناصر الدين سعيدوني.والتي مثّت إنتاجا فكريا ضخما وقيّما لما احتوته من معلومات مهمّة وقضايا كانت عالقة وموضوعات متنوعة غطّت مختلف النقائص التي كانت مجهولة لدى الكثير.

رابعا: أهميّة مؤلفات المؤرخ سعيدوني في فهم تاريخ الجزائر الإقتصادي:

لقد استطاع المؤرخ ناصر الدين سعيدوني من خلال إنجازاته وآثاره العلمية التي ركّزت على دراسة الوضع الإقتصادي للجزائر خلال العهد العثماني. من أن يفكّ الغموض عن الكثير من القضايا التي كانت في حاجة إلى دراسة وتعمّق لفهمها واستيعابها.ليس هذا وحسب؛ بل أنّ مؤلفاته التي تمّ ذكرها أصبحت بمثابة مادة أولية خام يتوجب علينا اللجوء إليها والإستفادة منها. نظرا لتنوع موضوعاتها من جهة وغزارة مادتها من جهة أخرى.فالأمر الذي زاد في تأكيد مصداقية معلوماته هو اعتماده بشكل كلّي على المصادر الأولية المتمثّلة في الوثائق الأرشيفية وكذا المخطوطات وغيرها من المواد الخام التي لا يمكن أن ندرس الأحداث والقضايا التاريخية دون ال'ماد عليها واللجوء إليها.

فتكمن أهمية تلك المؤلفات في كونها استطاعت أن تعطي صورة شاملة لواقع إقتصادي كان معاشا.بل كان له أثر وانعكاس كبيرين على بقية جوانب الحياة الأخرى في الجزائر من سياسة وحياة اجتماعية وثقافة وغيرها.أيضا أعطت تلك المؤلفات صورة حسنة للأعمال الأكاديمية الرصينة والتي كتبت من طرف مؤرخ لطالما كان يدعو إلى ضرورة التحلّي بالأمانة العلمية الصادقة وكذا الموضوعية المعمّقة .كما لا ننسى شخصه الذي كان لا يعرف القيام بأيّ بحث أو دراسة إلاّ بإخلاص ومثابرة وإتقان .وهي المواصفات التي وضعها كشرطا أساسيا لنجاح أيّ دراسة مهما اختلفت مجالاتها ومشاربها.فمساهمته في كتابة الجانب الإقتصادي أضافت علما جديدا وثراء قيّما للمكتبة التاريخية.

خاتمة :

من خلال ما سبّق ذكره ودراسته يمكننا القول بأنّه لا يمكن لأيّ باحث في كل ما تعلّق بالحياة

الإقتصادية في الجزائرأن يقدّم دراسته دون الرجوع إلى مؤلفات ودراسات المؤرخ ناصر الدين سعيدوني .فقد أثرى الموضوع بكل ما يحتويه رغم صعوبة الولوج إليه والبحث فيه .إلاّ أنّ تحليه بالصبر وطموحه في تقديم كل مايخدم الجزائر والجامعة الجزائريه جعله في إصرار على تحمّل العقبات من أجل تحقيق أهدافه.

فإضافته العلميّة القيمّة زادت المكتبة التاريخية الجزائرية ثقلا وثراء كبيرا سيألا لكل من هو عطشان لشرب من فروعه.

إذن؛فالمؤرخ ناصر الدين سعيدوني لم يكن رائدا للدراسات العثمانية عامة وحسب .بل كان رائدا حتى في ال

دراسات الخاصة بالجوانب الإقتصادية بالنسبة للجزائر. فهو يعتبر من ضمن الطليعة النخبوية التي ساهمت في وضع اللبنات الأولى لبناء المدرسة التاريخية الجزائرية .ويعدّ أحد أعمدتها وأحد الشخصيات الفاعلة فيها وفي ميدان التاريخ كونه لم يكن منحصرا في مجال واحد بل كان متنوع الآفاق والأبحاث الأكاديمية.وقد تأكّد ذلك من خلال ما أنجزه في ميدان البحث العلمي والتأليف لفترات طويلة من الجهد والعطاء.

الهوامش:

(1) فبالإضافة إلى المؤرخ ناصر الدين سعيدوني .فقد كانت هناك مساهمات أخرى في مجالات متعددة لمجموعة من المؤرخين الذين جعلوا الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر ضمن دراستهم نذكر منهم مولاي بلحميسي وأحمد توفيق المدني وغيرهم من الذين قدّموا خدمات جليلة وثريّة وقيّمة للجامعة الجزائرية وكذا المكتبة التاريخية. للمزيد أنظر: ناصر الدين سعيدوني، "واقع وآفاق الدراسات العثمانية بالجزائرعرض تعريفي ونظرة تقييمية" **مجلة المواقف**،ع 07،تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،جامعة معسكر، دسبمبر2012،ص9 . 45.وأنظر أيضا:جودي بكاكرية،**المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)**،رسالة لنيل شهادة الماجستير،كلية العلوم الإجماعية والإنسانية،جامعة الجزائر،2008 .2009م،ص69 . 71.

(2) مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية،**المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر**،تق:ودّان بوغفالة،الرّشاد للطباعةوالنشر، جامعة معسكر،2014م،ص39 . 40.

(3) نفسه،ص 41 . 42.

(4) نفسه،ص 41. 43.

(5) نفسه،ص41.

(6) نفسه،ص42.

(7) نفسه،ص17. 18.

(8) لقد كان يرى المؤرخ ناصر الدين سعيدوني أنّه لابدّ للتاريخ وللكتابة التاريخية من أن تكون مستعانة بمجموعمة من العلوم والتي تسمى بالعلوم المساعدة وذلك حتى تكتمل الدراسة وتكون أكثر وضوحا وعمقا وهي التي قسمت إلى ثلاث أنواع .العلوم التي لها صلة بالتاريخ والعلوم الرافدة للتاريخ والعلوم المفسّرة للتاريخوالعلوم المساعدة على فهم التاريخ وغيرها.للمزيد أنظر: ناصر الدين سعيدوني،**أساسيات منهجية التاريخ**،دط،دارللنشر،حيدرة. الجزائر،ص 7 . 25.

(9) نفسه،ص 19 . 20.

(10) مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية،مرجع سابق،ص 167.

(11) ناصر الدين سعيدوني ، المرجع نفسه،ص 32.

(12) مخبر البحوث،المرجع السابق،ص 174.

(13) نفسه،ص 61

(14) ناصر الدين سعيدوني، **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**،ط2،دار البصائر،الجزائر،2008م،ص349. 350.

[15] **الأوجاق:** هو مصطلح تركي وهو عبارة عن لقب يطلق على الجند العثماني للمزيد أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب،**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت،1996م،ص 54.

[16] سعيدوني،ورقات جزائرية نفسه،ص 350.

[17] لقد جاءت هذه الأطروحة ردّا على بعض الفرنسيين الذين حاولوا من خلالها نفي أنّ للجزائر كيانا سياسيا وشخصية وطنية.فالمضمون الذي احتوته كان دليل واضح على ثبات ووجود هذا الكيان الجزائري بكل خيراتها. للمزيد أنظر:أحمد عبيد،"التأريخ الجزائري:نقد وتقييم حالة الجزائر العثمانية"، **مجلة إنسانيات**،ع47. 48،جامعة وهران،جانفي . جوان 2010م، ص61.

[18] ناصر الدين سعيدوني،**النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792. 1830**،ط3، البصائرللنشر والتوزيع،باب الزوار. الجزائر،2012م،ص 7 . 8.

[19] نفسه،ص 21 . 109.

[20] نفسه 119 . 152.

[21] نفسه،ص 157 . 211.

[22] ناصر الدين سعيدوني،**الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791.1830)**،صبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع،الحرّاش . الجزائر،2013م،ص5،6.

[23] نفسه ،21،495.

[24] ناصر الدين سعيدوني،**الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني**،ط2،البصائر للنشر والتوزيع،باب الزوارالجزائر،أ . ب.

[25] نفسه،ص11 . 122.

[26] نفسه، ص 123 . 211.

[27] **الأمير عبد القادر**(1807 . 1883) :يرجع نسبهم إلى البيت الشريف،شهد الاحتلال الفرنسي للجزائر،وكان أحد أقطار المقاومة الجزائرية في الغرب الجزائري،وهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ،تعرض للاضطهاد من طرف فرنسا،ممّا جعله يستعين بمساعدة السلطان المغربي،وذلك ما نتج عنه حدوث مواجهات بين المغرب وفرنسا تمثّل في معركة إيسلي . بعدها نفي إلى الشام.للمزيد أنظر: يحي بوعزيز،**الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**،الدار العربية للكتاب،الجزائر،ص41. 74.

[28] ناصر الدين سعيدوني،**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، من القرن 16 إلى 19 م، الحولية الحادية والثلاثون**،حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية،1431هـ/2010م،ص 17 . 89.

[29] ناصر الدين سعيدوني،**ورقات جزائرية** المرجع السابق، ص 349 . 534.

[30] ناصر الدين سعيدوني،**الجزائر في التاريخ العهد العثماني**،دط، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984م،ص 11 . 120.

قائمة المراجع:

. بوعزيز يحي،**الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**،الدار العربية للكتاب،الجزائر.

. سعيدوني ناصر الدين، **أساسيات منهجية التاريخ**،دط،دارللنشر،حيدرة. الجزائر.

. " **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية، من القرن 16 إلى 19 م، الحولية الحادية والثلاثون**،حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية،1431هـ/2010م.

. " **الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر (دار السلطان) أواخر العهد العثماني (1791.1830)**،صبعة خاصة، البصائر للنشر والتوزيع،الحرّاش . الجزائر،2013م.

. " **الملكية والجباية في الجزائر أثناء العهد العثماني**،ط2،البصائر للنشر والتوزيع،باب الزوارالجزائر.

. " **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني 1792. 1830**،ط3، البصائرللنشر والتوزيع،باب الزوار. الجزائر،2012م.

. " **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**،ط2،دار البصائر،الجزائر،2008م،ص349. 350.

. مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية،**المؤرخ ناصر الدين سعيدوني رائد الدراسات العثمانية في الجزائر**،تق:ودّان بوغفالة،الرّشاد للطباعةوالنشر، جامعة معسكر،2014م.

الرسائل الجامعية:

.جودي بكاكرية،**المثقفون وإشكالية التاريخ في الحقل الثقافي الجزائري (دراسة مقارنة بين أحمد توفيق المدني ومصطفى الأشرف)**،رسالة لنيل شهادة الماجستير،كلية العلوم الإجماعية والإنسانية،جامعة الجزائر،2008 .2009م.

المقالات:

. عبيد أحمد،"التأريخ الجزائري:نقد وتقييم حالة الجزائر العثمانية"، **مجلة إنسانيات**،ع47. 48،جامعة وهران،جانفي . جوان 2010م، ص61.

. سعيدوناصر الدين، "واقع وآفاق الدراسات العثمانية بالجزائرعرض تعريفي ونظرة تقييمية" **مجلة المواقف**،ع 07،تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،جامعة معسكر، دسمبر2012.

المعاجم:

. مصطفى عبد الكريم الخطيب،**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**،ط1،مؤسسة الرسالة ،بيروت،1996م.